ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم أو قتلتم على أي وجه اتفق هلاككم لإلى الله
تحشرون لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه وبذلتم مهجتكم لوجهه لا إلى
غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم أي برحمة وما مزيدة للتأكيد
والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله سبحانه وتعالى وهو ربطه
على جأشه وتوفيقه بالرفق لهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت فظا
سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا إليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله سبحانه
وتعالى وشاورهم في الأمر أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن
يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للأمة فإذا عزمت فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على
الله في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه وقرئ فإذا
عزمت على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل ولا تشاور
فيه أحدا إن الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح إن ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما
خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه أو من
بعد الله إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل
وتحريض على ما يستحق به النصر من الله سبحانه وتعالى وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما
علموا أن لا ناصر لهم سواه وآمنوا به وما كان لنبي أن يغل وما صح
لنبي أن يخون في الغنائم فإن النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية والمراد منه إما براءة الرسول
صلى الله عليه وسلم [عما اتهم به إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم] أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز
للغنيمة وإما المبالغة في النهي للرسول على ما روي أنه بعث طلائع فغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت
فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول
والمعنى وما صح له أن يوجد غالا أو أن ينسب إلى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في

الحديث

١٢

في الحديث أي وعار الخيانة ووباله وإثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما
ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله أن يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم
ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى وهم لا يظلمون فلا ينقص
ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة
كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير
الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك
المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم بأعمالهم ودرجاتهم صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من
الله على المؤمنين أنعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه
وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن
من الله على أنه خبر محذوف مثل منه أو بعثه إذ بعث فيهم رسولا من
أنفسهم من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أي من أشرفهم لأنه عليه
الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته أي
القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع
وسوء العقائد والأعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا
من قبل لفي ضلال مبين إن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وإن الشأن
كانوا قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم
مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما
سبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف
إلى ما أصابتكم أي حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال
أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد
وعدنا الله النصر قل هو من عند أنفسكم أي مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر
بترك المركز فإن الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار [الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم] بدر إن الله
على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم وما أصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم بدر أحد
فبإذن الله فهو كائن بقضائه وتخلية الكفار سماها إذنا لأنها من لوازمه وليعلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1